

كفراغٍ واضح

الكتاب: كفراغٍ واضح

المؤلف: حمزة باشر

شعر

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الأولى 2025

الترقيم الدولي: **978-1-326-36579-0**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

صور الغلاف: المصورة الفيتنامية نغوين دونغ

Like a Clear Emptiness

Author: **Hamza Bachir**

Poetry

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions.

Cover images: Vietnamese photographer Nguyễn Dũng

ISBN: 978-1-326-36579-0

حمزة باشر

كفراغٍ واضح

شِعر

المحتوى

أنفاس الماء الأخيرة

تجمعوا

أبناء حارتي الأشقاء،

لأنهم دائما مولعون بالأشجار

يرقصون كأوراقها، على لحن الندم

وحينما تتساقط،

تتأرجح أجسادهم،

معلقة في الهواء

فيكتبون مذكراتهم

تحت ذاك الظل الواقف
جمّعت «ساكنة» ضفائرها المتدلية،
خلف ذاك الجدار المنحني
اقتبسوا أسمائهم
وأعلنوا ثورتهم على العشب، واليباس،
والماء الراكد على حافة الطريق
يربّي الوجع،
في قلب أبناء حارتي التعساء
جداول أنهار جافة
ونملاً يبحث عن حبوب ضائعة

لأننا دائما نجود بما لا نملك
تجمّعنا في حانة لا ترحب بأحد،
هكذا كنا نتذاكر أحاديث هرمة،
هناك؛ حيث أخشاب مسندة، على عود الطلح،
أنصاف براميل، وأوانٍ خزفية
تتمرغ في جوٍ يترنح،
كنا نكتب لحنك الدائم

*- «ساكنة»: اسم علم، لقصة اسطورية في قرية قوي.

بينما نشجب يدَ من تطاول
وقطف فاكهة تتمرجح على غصنٍ يداعب الريح،
ذاك الذي جُبل من الطين
وتنبأ ذات يوم تحت الظل،
بأن المعصية الأولى، قرينة شجرة وافرة الحظ.

تلك الطيور التي تنقر الوقت
تدمي أختك الشجرة،
لأنها تبني أعشاشا من غبار كثيف يترحل
هناك،
حيث تسيح قصيدة شاردة
كنت أنسج أحرفي
المجرورة، في ذاك المساء

لم يعهدوا مرة أن تكذب الشجرة،
أحسوا بالضجر،
والتعب يصفع وجوههم المتعبة

تحت الظل
تجمعوا..
أبناء حارتي الأشقياء، يصرخون في وجه الشارع
والجوع الغالب
وحدها الأفئدة، غارقة في ترانيم تتشابك في الفناء.

قناديل توسّع الحدقات

لم التعجب!
لو ظلت العجوز،
تحتفظ بطفولتها في قلبها المرهف.

لا يزال هنا في أزقة «انجمينا»
من يحتفظ بظل «انجيمي» القديمة
ذلك، أن الشمس
تنشر أجنحتها بسخاء
لعصافيرَ تلهو
وتمتثل المشهد

---

*- «انجمينا»: عاصمة جمهورية تشاد

مثلما تعبث طفلة بساحة البيت
أمام صوت يجهر، كفى
أيتها المشاعر الملتهبة
لأنها تواقة للحلم
وكأنَّ الأمس، أتى الآن

لعلة بسيطة
يتكرر هذا المشهد
حينما يتسرب في الغد، فراغ الأمس
كتلك الطفلة التي تحتفظ بها العجوز في داخلها
خشية سفر طويلٍ، بلا رجعة،
ولأن توقها أرهق جسدها،
لا شيء، أحفظ لذاك الحنين اليابس
غير تلك الطفلة
التي ترقص كي تنفض الغبار عن روحها

قناديل كثيرة توقدُ،
لتتسع حدقات العيون الرمداء
في شارعٍ واضح
يحاصره الظلام بخطواته القاتمة
حيث فتية، تضيق لعبتهم من فرط التخبط
في الوقت الذي يمتص التعب

سجال صوتهم المتدفق

هناك طفلة ترقبهم بنهم، لتملأ قلبها المفتوح.

مسرات الطريق

بوابل من مطر خفيف
على خدها الذي ارتجف من البرد
فجأة،
أدمعت السماء

دون سابق إنذار
يحدث أن يرحل
الوقت، مع قافلة عابرين
نحو وجهتهم الأخيرة

هناك
عند أول صرخة

لطفلة تشق بطن الأرض

وأخرى لامرأة بعيدة،

تنادي بأصوات متقطعة تحلم بالنجاة

كل ذلك كان يحدث على مرأى من القداس

الذي تجلى على هيئة عجوز،

كانت تهمهمُ وهي تلتقط الحَبّ من التراب.

أنجيمي

ذاك الجد الأبنوسي

جاء، لوحده

من بين جماجم كثيرة،

تُطحن في ذاك الزمن

---

*- «انجيمي»: عاصمة مملكة كانم

كلٌّ منّا صار يدّعي الآن،
بأنه من سلالة تلك الجمجمة
التي كانت مصنوعة
من قوس قزحٍ،
وجذور شجرة ميتة

قيل، فيما قيل
إنها إشارة
توضع في حقول «أنجيمي»
على رأس الشُعَبِ لإخافة الطيور

قيل
إنها رمزا للشؤم على الطرقات،
حين يقل حصاد
الأيادي الناعمة، المليئة بالشوك
قيل كذلك، إنها رأس كلب،
أو خنزير ضيّع حاسة الشم
توارثته الذئاب حتى حدود «شاري» الذي يحتضن «لغون»
وفي أجلّ صوره قيل أنّه قرد!

---

*- «شاري»: أحد أنهار أفريقيا، ينبع من جمهورية أفريقيا الوسطى ويسير عبر أراضي تشاد ماراً بمدينة إنجامينا عاصمة جمهورية تشاد وعندها يلتقي بنهر لغون الذي يشكل حدوداً طبيعية بين تشاد والكاميرون.

قبل أن يضعوه

على حافة البحيره جرفه الرمل

من بين أسلاف سلالة الجماجم،

التي كتبت قصتها

أشياء كثيرة مما قيل...

لا يوجد بينها ما يشاع اليوم حول جدنا الأبنوسي!

زخارف بشرية

في هذا البيت،
الذي كانت ترقد فيه
قافية، بلا وزن

كل ما تبقى،
أن نحدد من سبق الآخر،
القوافل، أم القوافي
في تلك الأدغال التي يقطنها اللحن
وقد التصق بسكانه الأوائل،

الذين كانوا خفيفي الظل،

مرحين، فرادى،

لا يمتّون إلى الأصنام بصلة،

لكن صار هؤلاء،

المتجمهرون اليوم، أكثر قِدما.

لهوسهم الجامح، في تقفي الأثر،

داخل الأدغال، الجحور، الغرف المبنية في اليباس،

مسارات الطرق، ساحات المعارك، عند مصائد الأسماك

البرك القديمة، والجبال،

في الأسواق، المزارع

حتى الصحراء

بل ذهبوا لأبعد من ذلك،

يلتمسون آثارهم بين الأصنام، التماثيل

الأقنعة، الصور، حتى الظلال

بل، وصلوا لهوس جنوني،

إذ باتوا ينحتون ما يشبههم من تماثيل ولوحات،

ويهتفون؛

كم هو شبيه بأسلافنا الأوائل،

صاروا يعرفُونك من ظلك العابر

كأنك نقش محفوظ حكاياتهم القديمة

لستَ منهم في شيء!

تلك الأبديّة التي ظلت الطريق

أبدية أخرى،
قيل إنهم عثروا عليها
خلف المتحف الوطني،
بين أشجار كثيفة الظل
تتدلى خفيفة ومتعبة،
كضوء هارب تطارده أوراق الشجر

الغابة المنزوية
كانت مسكنا لعفاريت كسالى،

ومقبرة مفتوحة تعانق السماء
مسكنا غير صالح للسكن
يحتضن أبناء «منجخ».

كانوا جميعا،
في تلك الغابة
يحرسون قممها العالية.

تجلت لهم تلك الأبدية
بعد كدح محدودب الظهر
على شكلِ هلاوس تُطحن في باطن الأرض،
أو سحب بيضاء معلقة في السماء،
قيل، هي كروانات بيضاء في مساء الخريف
تجلت كخوف عميق،
وحدة محفوفة بالفزع،
أو ناقوس تحمله يد الخطر

---

*- «منجخ»: منجخولي حي في الدائرة الخامسة بانجمينا.

خارج رفوف المتحف

أشياء أخرى كثيرة،

خفيفة كوجع طارئ

وثقيلة كضجر متوطن

كانت مرئية، وحاضرة، يحجبها الغياب،

في تلك الغابة.

ألفوا الأبدية أيضا

على هيئة فتاة تحسب الخوف بين فخذيها

قلت، في هذا الشأن

أليس حضورك الصامت

لأيام، وليالٍ، يلفها الغياب

كتلك التي عثروا عليها

خلف المتحف الوطني!

القدّاس

ذات صباح رشيق،
والتجار قد ذهبوا
لأداء قداس الأحد

ها هنا، في الطرف الآخر
يجتمع الزبائن
في مقهى بضاحية شاري
حيث تتفرس طاولاتهُ
في المهملات الطافية في النهر،

مثلما تفعل

تلك النظرات المتدفقة

إذ تتفرس الشفاهَ التي تقبّل الكأس

بما يشبه اللثم، أو برقّة أكثر

إذ حضرت جموع كثيرة،

لمتابعة المشهد

الأسماك، الأفاعي، وفرس النهر

التماسيح، الديوك، حتى الخنازير

بجوار حمار يحدقُ من جانب الطريق

كلها جاءت ها هنا، الآن لتحضر القداس.

على هيئة مسرح عبثي

أيام رحلاتنا
إلى شاطئ شاري»،
كنا وقتذاك، نتلهفُ لنستودع
ما هُيّء لنا، أنه شيء من الفرح
يتسرب من صمت النهر

فيما يشبه القفز
ونحن في انخطافٍ محمومٍ
جِيء به،

على شكل مسرح عبثي،
تبادلنا الأحاديث بسخاء،
حول عقارب الألسن،
تتمة ما يتركه الفراغ، ترنيمة للضجر،

بتنا مهووسين باللغو
كأن نتوهم وجود حوار عميق
يتبدى بالجدل
حول مصير ذبابة
تحتضر في فنجان قهوة،
فيما لو كان التناسخ!
أو حياة أخرى،
خارج هذا الفنجان

فجأة، وبدون حسم
يدفعنا الحديث لفراغ يشبه حفرة متأبطة الظلام
كأن نُعطي أملا فارغا من اليأس،
نحن الثلاثة، يدّعي كل منا
رجاحته في تنظيف الكأس من أثر الذباب
الذي يدوّخ أكثر من تلك الفتاة
بل أكثر
من أولئك الذين ترنحوا من ضجة النهر

حينما فقدوا وعيهم،

عند آخر كأس.

عند ذاك الحد فحسب،

أجدني أصدق ما قيل،

بعدما تراخت أعضائي

من أثر البول الذي وجد طريقه

ليجدّفَ في النهر.

هذا ما هُيّء لنا

بصيغة شذرات فلسفية

ونحن نتجرع الفراغ الواضح

ها نحن نولد من جديد

سماء صافية

أمام الغرفة

التي تطل على الشارع

لم ترافقها أنجم لتزيين هذا الفضاء

غير أنّ خلف ساحة البيت

أطياف لم تألف رذاذ الماء

وصوت رعد يهدرُ، كلما اتضحت

خارطة الأمل على قفا الشارع

لا أدرك ماذا حل بتلك السماء!
غير أني رأيت
شمسا مكورة، وأقمارا مكسوفة الظل

في هذا المساء
لا أدرك شيئا عن السماء منك،
وأنت ميتة
لا تدركين صلابة ظلي الذي يكبلني،
وأنا ميت

ريثما أنهض، سأحلم
يا ساكنتي،
بل سأغني في كل لحظة،
مثل «شادو كريس»
ها نحن نولد من جديد

---

*- «شادو كريس»: مغني من ساحل العاج.

سرب من الكائنات المجنحة

يوم يمرُّ أمام ناظريك
سرب من الكائنات المجنحة
كأنما هي مواقيت موزونة الرأس
فوق ساعة الأمير
أو عقارب لسعتها يد السرعة

وقد اصطف الجنود
خلف الكراسي، متطأطئين الرأس
كانوا يُصَوَرُون

كأنهم قرائن مشاهد مؤلمة
أو سكارى غيبتهم الكأس

كم فتنت هذه الصورة،
فتاة ما تزال تَحْسبُ
أن القوة قرين السلطة، والبطش
عساكر حتى في الهيام، والشبق
قد أغرت كلابا
أتقنت غير النباح، حرفة اللعق
في هذه الضاحية
القادم أهلها من مصاحف طينية الأثر
أو أناجيل مطوية الظل

لا تزال أشكالها هلامية
تلك الكائنات المجنحة
التي تشبه زخارف بشرية

ربما هي، أناشيد الجنود أمام صورة القائد
تشبه أيضا، مراسم لإحياء ذكرى جندي مجهول التفاصيل
كأن تضع ورودا على صدر لوحة خشبية
هذه الكائنات المجنحة
كأنما هي مواقيت موزونة الرأس
فوق ساعة الأمير.

لا يتسخ فضاء البيت

سأخرج من هنا خفيفا
كورق شجر النيم المتساقط
على حافة الرصيف،

مروا
مرارا...
بجانب بيتنا القديم

وقد حملوا على ظهورهم لافتات

كتبوا عليها
«حراس الحداثة»
في الأكياس التي يحملونها
بضاعتهم التي تفوح منها نتانة الجيف
وهم على مشارف خطوات
من الهوة

قابلتهم لافتات أخرى،
خُطَّ فيها بوضوح «سدنة الوحي»
أو «حفّاظ أغاني السماء»
بينما كانوا يدسونها تحت الإبط،
خشية أن تذهب بها الرياح
أو تعبث بها يد الصغار

كانوا يتبارزون، وقد مرّوا ثقالا
على ظلال لافتاتهم،
التي تقاسموها بصمت، صاروا خفافا بعدها
وهم يقهقهون..

سأخرج بخفة عالية
من هذه الأبدان الملطخة بالضغينة،
بيد أن لافتاتها
كانت معجونة بالضجر، وشيء يسير من البطش

سأجمع أوراقها المتساقطة

وأدفعها بعيدا عن أعين الصغار

ثم أخرج خفيفا من هناك

حتى لا يتسخ فضاء البيت

قلوب تمشي على الرصيف

الصباح الذي تكون فيه يد الشمس دافئة
تطبب القلوب
التي تنتظر الضوء، لتحلم
وتمشي خلف النهار
بخطى ترصد النور

ثم إن طيور الجوع،
على الطرق،
كانت تختبئ عن أعين المارة،

بينما تلتقط الحَب
لكن عين المصور التقطتها
وبضغطة من يده
جعلها مدينة له بوجودها

الوجوه التي تمشي نحو الرغيف
ولا تقبّل يد الحاكم؛
بينما يزاول مهنته على الملأ،
بتلميع واجهة القصر
قبل أن يذهب إلى الفناء
لمعانقة الأصنام التي خلقها،
تظل شاهدة على الخديعة
ولو غيّبها الغبار عن مرايا القصر.

رصاص

لئلا تزلّ أقدام المارة،
عن الطريق
يحلوا لها أن تقلد الريح،
ذلك أن وجهتها جبلت على السرعة
تنطلق هكذا، كالريح
كسهم لا يستهدف أحدا
وبسرعة عالية، كالوقت
أو بخفة أكثر كالضوء

ولكنها لا تخطئ الجهات في كل الأحوال

تلك الرصاصة

على ضفة شاري

إنها تقاتل
ككل المرات

فتاة مليئة بالضجيج، لا تشبه ضابطا
وزنه رطل من ذهب،
يحرس الكلب

على ضفة شاري،
تنام أغنية سئمت من الرقص

إذ أنها أيقنت، تماما كرواد «مرسال»
ذلك أفضل من حرفة النباح

أي الإشارات تحفظ تجليك،
غير إضاءة قصيدة شاردة تقولني

الآن سأتكلم،
ليس لأنك تعرف أنها تقاتل،
بل لأنّي
ككل المرات، حين أقف ببابك
أجد الإمام، أمامي يبارك باسمك
ضابطاً يحرسه كلب
وزنه رطل من الفراء.

---

*- «مرسال» حي تابع للدائرة السادسة في العاصمة.

حيرتي التي تتكاثر

أمام المرآة، مباشرة على الهواء
أتحدث عن تلك المسافة
خالية المعنى،
حين تفصل بين
وجهي الذي ارتديه،
وذاك الذي يخاطبني،
يجسد كل شيء، قابلا للتصور
تلك الشفاه النهمة، عيوني الغرقى

دهشتي التي تطوقني

ورمشي الذي يتعجب!

حيرتي وتكاثري ببطء

في هذا الفضاء

أشياء كثيرة تكبر، بينما أتصاغر في هذا المدى.

كراسي يلفها الصمت،

صور تفترش الجدار

تضحك، تلك المرايا الكاذبة

وهي توثق المشهد،

توثق في صمت، زمجرة العسكر

همهمة خنزير أعور، بكاء الماء المتساقط

غناء الريح، صفحات «ابن فرتوة» اليابسة

ورقصات الجنود،

وهم يسرقون البهجة

ويغتالون الوقت

في هذا المكان،

تنمو وتكبر حيرتي التي تتكاثر ببطء.

---

*- «ابن فرتوة»: هو أحمد بن فرتوة الإمام الأكبر لإمبراطورية كانم - برنو في القرن السادس عشر ومؤرخ الملك إدريس ألوما (1564–1596)

.

كانت تضحك

كما لم يحدث من قبل
تستقبلين شمس مارس،
بهذه الحرقة

«تابينو»
وأنا أحدق في ورقة شجرة النيم المصفرة،
حين كانت تضحك للنهر.

---

*- «تابينو» هو الدلال من تبتة، وهو اسم فتاة.

قلتِ:

ما ذنب ذاك الاخضرار النابت في القلب

أن يحاكي اليباس؟

بينما في النهر صبية

يرتمون في الماء

يخرجون من ثِقل المدينة،

خفافا،

من كل شيء.

وحدها السمكة، كانت تضحك

وأنا أتلاشى كتلك الورقة

من ثقل اسمي

وهذي المدينة

لا شيء أثقل،

من ورقة يابسة معلقة على الأشجار!

أشياء كثيرة

هناك
تحت سقف السماء،
أعلى سقف بيتنا القديم،
لم أدرك أن شجرة
كانت تنمو
ذلك، أننا في الداخل
كنا نخالها أبراج عالية،

قالت: إنّها ألواح زجاجية، وتماثيل بيضاء
ردت طفلتها: بل هي ظلال أحلامي
قال آخر: ما هي إلا طين تشكل كلمات

كنت أضحك،
حينما أراها مستمرة في النمو

تجادلنا في كونها مرئية، أو العكس
اجتمعنا، على أنها صنيعة أفراد هذه الدار،
لكنها مطلقة، وغير قابلة للدحض
نرسمها، مرصوصة البنيان، طوبة فطوبة
في كل وقت، وحين نرسم تلك العوالم،
حيوات قيد التشكل في ظل ملكة قادرة على الخلق
بمخيلة مولعة بالنسج
أو مؤخرة تجسد طرافتها في تجميع الحدوث

من أعلى سقف بيتنا الذي من طين متهالك،
كنت أرى عائلة من الشجر
تنمو، وتكبر

في الأعلى،
فوق سقف بيتنا القديم الذي تهدم،
أدركت،
أشياء كثيرة

لم تك أبدا كتلك التي نخالها، نحن، في ساحة البيت.

كأن لا شيء آخر

إن شئتُ رسمتُ وجهك
على ورقة مطوية،
خلف البيت
يُمارس كل شيء بأريحية
دون تنكر

وحدها الفراشات
صريحة الطبع، أنت
أيتها السيدة التي نسيت اسمها عند بائع الدخان،

ماذا أسميك!

والجهة السفلى من العالم
لا تزال بعيدة،
وأليفة المجهول، والغامض
تماما، كما ننسج هنا، الآن، خيوط الظلام
سأنتظر يوم تبدو النهايات هكذا
كأن لا شيء آخر،
مثل البدايات.

سأنتظرك هناك، خلف المنزل
دون تنكر

في ذاك المكان الذي يمارس كل شيء بأريحية، كالأطفال

قلب مقفل بالخراب

سأحمّل نفسي أوزارها
التي أثقلت كاهلي كصخرة

رغم أن اليراعات
التي ما فتأت تباشر مهنتها
القديمة، كفعل سيزيف
باتت تضنّ بالضوء على المارة،
أضحت أشد خبثا وظلاماً،
غرفتي التي تلتمس آثارك،

من طنين ذبابة تأنُّ

من رائحة البخور،

فُتات ضحكاتك المبعثر

رطانة حيرتي العلنية

وأشياء أخرى، كثيرة

لا أفهمها الآن

الأساليب التي نتقنها

لغفران ماض ألمّ بنافذة العمر، كثيرة

حتى أنّي سيدتي،

طويت حصير السعف كاملا

وسأغسل يدي جيدا

قبل أن أغادر،

هذا المكان الملوث بالدماء،

سأحتفظ بعدها بأشياء أخرى، قليلة؛

كخفة الهواء، نقاء الماء،

وقلبك المتكئ

على نافذتي

التي لا تطل على أحد

سأجمع أغاريد العصافير،

هدوء الصباح، الهشاشة..

خصوصا، تلك المسافة

التي تحدّقين من خلالها على اللا شيء.

ضجرٌ يرتدي ظلهُ

ما الذي يمكن أن يقوله
الضجر،
لجزء ضئيل من القلب
ينبض
كشجرة مكسوة بالتعب؟

ما الذي يمكن أن يقوله
القلب،
لجزء ضئيل من الأرض

تغطت بالوهن؟

ما الذي يمكن أن يقوله
الحرف،
لبقعة مدججة بالدماء، غير الحب؟

ما الذي يوده
الفجر حين يجعلنا
نتتبع خيطا لا يؤدي
إلى أي شيء؟

إلى أي مأوى،
تلجأ ملامحي التي
لا تزال عالقة في أماكن شتى؟

متاهات

أتذكر، منذ أن جاؤوا
على ظهور خيلٍ
تودُّ أن تعرّف فرسانها

أضحت الشبابيك مفتوحة
وأبواب القبور،
لاستقبال أبناء الرصاص
الذين أخذوا تذاكرهم للتو
من بابا السرداب

أنت، أيتها الصورة التي تلازمني،
لماذا يرسمك الطين
فوق أنقاض البيوت التي هدها العمر!

لمَ يعلقون وجهك
أمام مرآة لا تبالي بالندوب!

كالكلاب التي تعوي خلف الجنود
الذين كبروا على ظهر دبابة،
متأهبين، هنا قبل القيامة
وشهيتهم مفتوحة على المقابر
يذهبون إثرها، ويعودون

يغلقون الأبواب المشرعة على الحظيرة

سأنتظر ها هنا
علّ ساعة نهار واحدة،
كافية لإغلاق النوافذ التي لا تطل على أحد.

كلمات أكلها الصدأ

منذ البدء
حين أمشي، أضع قدماي ببطء.
أقول في نفسي
لربما دست قلب طفلة
تنام تحت سور أثقله الوقوف
منذ ألف عام، مما يعدون
من فتات خبزهم اليابس
هذه الألف، لم ينظر لها غير قلّة

في يد البائع
ها هي الآن عائدة من جديد

أمام خوفي القديم، المتجدد،
ليس من عناق الجدار
الذي لم يجد سوى قلب طفلة ليهدأ
بل ربما على تلك القلوب
التي تقسو على الحجر
الذي يعانق أمه الأرض

وهو إذ يعانق طفلة
شديدة الحرص على النوم،
دون وسائد، أو سرير، تمنت
«لو كان الفتى حجر»
كي تتوسد راحته البسيطة

ها هي الآن، أمنا الأرض تصدأ
بدلا من القلوب التي كانت كالحجارة.

قلبك الذي يبتعد خطوة عن القصيدة

حسنا..

سأتكلم هكذا

دون أن أنبش قلبك

الذي يبتعد خطوة

عن القصيدة،

خشية آثار كثيرة

ترتب عليها غياب الغناء

آخرها آهة
حاصرت فمي الذي يرتجف
دون أية كلمة،
أراك بعدها
تتحسسين نبض شارع
لا يؤدي إلى أي شيء

في الشارع
شرطي، وموكب الرئيس،
وحراس الفضيلة، معهم تجار ترانيم السماء
يغمغمون بشيء ما، بقرب عجوز كانت تضحك،
متلهفة لاستقبال الشمس، وخطوات المارة
وهي جالسة لا تشتكي لأحد
ربما قد يعيق رؤيتها كثافة هالكة، وعتمة تظلل المشهد
أو يزعجها حين ترسل ابتسامتها
على الهواء
فتطرق وجهها على الأرض

سأتدرب، على ألا أقول شيئا
عندما تبدو الأيام التي تحيينها خالية
من إطلالة الفجر

ربما لا تعني لك الكثير

هذه التعويذة

عندما يتلوث الماء والهواء

ولكنها

قد تلهم قلبا بشيء يسير من الأمل

أيها الساهرون

هناك أمر جديد ألمّ بالفجر
جعله يمحو ما عليه
من أثر يغوي التجار

دون أن ندرك شيئا،
قد يشرق مع عجوز
جالسة على عتبة العمر،
أو غانية غاب صوتها في الصخب
أو رداء صوفي يفترش الأرض، أمام الحضرة

يشرق مع فتاة

تستعيد نفسها من أثر الذبول،

أو مع رجل، يورّث الحب، وشيء يسير من نبض مكسو بالأمل

أو صبايا يلجأن إلى البحر

مع هذا المكان،

حفنة تراب لين الطبع،

والصمت يجثوا على باب المدينة

أيها السادة الساهرون

هناك طارئ ألم بالجسد

بعد استغاثة الفجر

كونوا فرادى متفقين لترميم هذا الجدار

بتوقيت القلوب الصدئة

إنها الواحدة
بتوقيت القلوب الصدئة،
أن تنشر الشوك في هذه الساعة
يتحتم عليها شيئا واحدا
واحد فقط،
أن تتساوى مع الليل في هذا السواد.

ارتحال

ثمة مفازة،

لأولئك العليلين،

الذين ابتُدعت لهم المسافات

حتى يتجاسروا على امتهان السفر

على اكتشاف تلك الصحراء القاحلة

المنبسطة على مد البصر،

يمشون

دون تعثر، بأثر ما

أو طعنة في الخلف، أو دفعٍ
أو خشية صوت مفاجئ
كأن تتفرقع أصابع مصنوعة من هلام

قليلون هم،
أولئك الذين يقفون بمنأى عن المفازة
ويلقون أبدانهم في ثبات
ليمتحنوا الالتباس الذي يتربع الهاوية

وأنت تمشي عارِ الخطى
بلا أثر، في تلك المفازة الحالمة
أو طرق مؤدية لجهة ما

كم ستدرك بعدها
قيمة ما صنعت،
حين تترك خلفك
بقايا الأنين في الطرقات القادمين

تنهض لتتعقب الضوء

بوسع أي شجرة
ما زالت تنمو
أن تفرح وحيدة بتعقب الضوء
تلامس كف الشمس
ودغدغة الأرض.

كإبرة تخترق فتوق الرداء
بوسعها أن تلتئم،
خشية أن يذبلها التوسع

تنهض الشجرة

وحيدة لتمتحن الحب

خطى عارية

أولئك
الذين لا يستطيعون طيّ ظلي
دوسوا عليه، كي تتمكنوا من السير
هذا النكرة؛ ركام فتات باهت
صورة هشة للوقت، قرابين لا تبجّل شيئاً
دهشة مطوية، علامات استفهام معكوسة
تتسرب في الأدغال،
حرف صامت،

ضائع في الظلال

دليني عليّ،

حين انشغل عنك، بك في هذا المكان

ابنِ لي مجازا، لأسقط منه

كي أبقى واحدا، ووحيدا

بين أولئك الذين يعشقون الترحال

هواة المشي، كما تمشي القصيدة

عارية الخطى، لتستقبل المارة

يتيهون في الحرف

الذي يبني القصيد، طوبة فطوبة

حمزة باشر

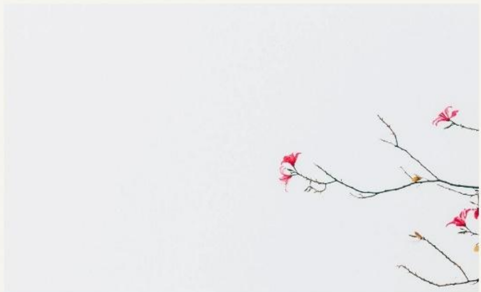
شاعر تشادي

محاضر جامعي في التاريخ الأفريقي المعاصر، من مواليد إنجمينا عام 1993. حاصل على ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة الملك فيصل بتشاد، وإجازة جامعية في التاريخ من جامعة إنجمينا. عضو في رابطة المثقفين الأفارقة، ويهتم بقضايا التاريخ السياسي والاجتماعي في أفريقيا الحديثة.

صدر له:

ترانيم الكادح تحت سماء أنجمينا (2023) شعر (دار النهضة العربية: بيروت).

لحن يسافر في الريح (2019) شعر (دار المتن: بغداد).





لأننا دائما نجود بما لا نملك
تجمّعنا في حانة لا ترحب بأحد،
هكذا كنا نتذاكر أحاديث هرمة،
هناك؛ حيث أخشاب مسندة، على عود
الطلح،أنصاف براميل، وأوانٍ خزفية
تتمرغ في جو يترنح،
كنا نكتب لحنك الدائم
بينما نشجب يدً من تطاول
وقطف فاكهة تتأرجح على غصن تداعبه
الريح

HAMZA BACHIR

LIKE A CLEAR EMPTINESS

Jidar
Culture & Publishing